ما معنى
المسيح ابن الله؟

تمهيد :

كثير من الأمور التى تحيط بنا على الرغم من أنها تفوق إدراكنا، لكننا نقبلها ونسلم بوجودها. فمثلاً يقرر العلماء بوجود "الأثير" الذى يحمل الموجات الكهرومغناطيسية عبر القارات بل عبر الكواكب ،على الرغم من عجزهم عن تفسير ما هو "الأثير" ومما يتكون.. إلخ..

بل إن الإنسان نفسه يحوى داخله كثير من الأسرار التى يعجز العقل عن إدراكها، على الرغم من إيمانه بوجودها. فمثلاً يقر العلماء بوجود مركز فى مخ الإنسان يختص بالذاكرة والتفكير وتخزين المعلومات، ولكنهم يعجزون عن الكيفية التى يقوم بها هذا المركز بهذه العمليات المعقدة.

موضوع هذا الكتاب هو أيضاً يفوق عقل الإنسان، لكنه لا يتعارض معه، لأنه حقيقة مؤكدة من الوحى والتاريخ، إننا نحاول أن نبسط للقارئ هذا الموضوع بقدر المستطاع.

فى محاولاتنا لإثبات ألوهية المسيح، إنما نتناول أمراً كان بديهياً بالنسبة للمسيحيين فى القرون الأولى ، الذين كانوا يؤكدون أن الله أخذ جسداً حقيقياً وليس جسداً أثيرياً أو خيالياً. وبعد عدة قرون انحرف البعض فى فهم التجسد الإلهى، متأثرين بالفلسفة والمنطق العلمى، فنادوا بأن المسيح هو أسمى من البشر ولكنه أقل من الله.

وفى عصور متأخرة نادى آخرون بأن المسيح ما هو إلا نبى أو رسول.

إن موضوع هذا الكتاب هو عودة إلى توضيح الإيمان الراسخ الحقيقى الذى كان مسلماً به ومستقراً فى قلوب وأفكار المسيحيين الأوا ئل وهو بفضل الرب مستقر فى قلوب جميع المؤمنين الحقيقيين فى كل أنحاء العالم وفى كل طائفة.

إن المسيحية لا تضفى صفات الألوهية على إنسان يدعى يسوع المسيح، لأنه ليس من مصلحتنا أن نؤله إنساناً من البشر ، فهذه الفكرة مرفوضة شكلاً وموضوعاً من العقل البشرى. لكننا نتناول موضوع "ظهور الله فى الجسد" .

إن الله القادر على كل شئ ألا يستطيع أن يظهر للبشر فى صورة إنسان؟؟!! إننا نقول أنه قادر بكل تأكيد لا سيما أن الكتاب المقدس أعلن لنا ذلك بكل وضوح، فمكتوب : "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تيموثاوس ٣: ١٦)

مقدمة الطبعة الأولى

إن المسيحية هى معلمة التوحيد، وهى أقدر من يعبر عن وحدانية الله، فهى التى نادت بوحدانية الله فى عصر كان العالم يغوص فى العبادات الوثنية وتعدد الآلهة فمن الوثنيين من كان يتعبد لإلهين أو أكثر فى آن واحد.

أما المسيحية قد رفضت مبدأ تعدد الآلهة، بل وقاومته معلمة أن وجود أكثر من إله يعنى أن لكل إله وجوداً مستقلاً عن الآخر. ونتيجة ذلك يكون لكل إله حيز يوجد فيه مستقلاً عن الآخرين، وكونه متحيزاً بمكان فهو محدود، وكونه محدوداً فهو مركباً، وطالما هو مركب فهو قابل للانحلال. إن هذه كلها ترفضها المسيحية لأنها لا تنطبق على طبيعة وصفات الإله الحقيقى الذى يتعبد له المسيحيون.

إن المسيحية تؤمن بأن الله واحد لا شريك له، فالكتاب المقدس يعلمنا أن "الله واحد وليس آخر سواه" (مرقس١٢: ٣٢)، ومكتوب أيضاً : "أليس أنا الرب ولا إله آخر غيرى، ليس سواى" (أشعياء ٤٥: ٢١)، أيضاً" "لأن الله واحد" (رومية ٣: ٣٠) ، أيضاً " نعلم أن ليس إله آخر إلا واحد" (١كورنثوس ٨: ٤)، أيضاً : "أنت تؤمن أن الله واحد، حسنا تفعل" (يعقوب ٢: ١٩).

يتصور البعض أن هذه الوحدانية جامدة مصمتة، لذلك وجب علينا أن نبين نوع هذه الوحدانية التى لله. هل هى مجردة ؟ أم مطلقة؟ أم أنها جامعة؟

إننا نؤمن بأن وحدانية الله جامعة .. بمعنى أنها تحوى كل ما هو لازم لوجود صفاته عاملة أزلاً بغض النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها، فمثلاً الله محب، فهل طبيعة المحبة وجدت بوجود البشر أم أنها موجودة أزلاً. إذا قلنا أنها وجدت بوجود البشر فهذا يعنى أنه طرأ تغيير فى طبيعة الله. وهذا نرفضه تماماً لأن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يعقوب ١:١٧).

إذن فالمحبة موجودة أزلاً وطالما أنها موجودة أزلاً فلا بد أن يكون هناك محبوب أزلاً. هذا لا يمس وحدانية الله فهو ذات واحدة، جوهر واحد، لاهوت واحد. إن لم نقر بذلك فأننا نجعل الله جوهراً غامضاً لا يمكن الاتصال به أو معرفة شئ عنه بينما يتفق الجميع على أنه تكلم مع موسى ومع إبراهيم وأظهر ذاته للأنبياء.

لا شك أن هذه الحقيقة فوق الإدراك البشرى لأنه لا شبيه لهذه الوحدانية فى الكائنات المنظورة. وهذه الحقيقة وإن كانت تفوق العقل، لكنها لا تتعارض معه.

ولا تناقض بين الوحدانية وبين ما يسمى فى المسيحية بالأقانيم، لأن الله واحد فى جوهره وجامع فى أقانيمه. وتعلن المسيحية أن عدد الأقانيم ثلاثة: الآب والابن والروح القدس (متى٢٨: ١٩).

لا ثلاثة آلهة بل إله واحد. ذات واحدة، جوهر واحد، لاهوت واحد. ثلاثة " أقانيم" متحدون بغير امتزاج ومتميزون بغير انفصال كل أقنوم أزلى، أبدى، غير محدود، لا يتحيز بمكان أو زمان، كلى العلم، كلى القدرة، كلى السلطان، لأن "الأقانيم" ذات واحدة.

وكلمة "أقنوم" كلمة سريانية ، وهى الوحيدة فى كل لغات العالم التى تستطيع أن تعطى هذا المعنى: تميز مع عدم الانفصال أو الاستقلال، بما أن الله لا شبيه له. وبما أن لغات البشر إنما تصف الكائنات المحدودة فلا توجد كلمة تعطينا وصفاً دقيقاً للذات الإلهية بحسب الإعلان الإلهى.

إن حقيقة " الأقانيم" الثلاثة فى ذات الله الواحدة، تبدو صعبة الاستيعاب، بل هى بالفعل فوق إدراك العقل البشرى. لكن أليس هذا دليلاً واضحاً على صحتها، وأنها إعلان واضح من الله ذاته. لأن الإنسان إذا أراد أن يزيف إيماناً أو يصيغه بما يتفق مع العقل البشرى، يسهل قبوله واستيعابه. أما إذا كان الأمر خاصاً بحقيقة الله غير المحدود، فلا بد أن يكون الإعلان فائقاً للعقل البشرى. وهنا يجب أن نقبل ذلك الإعلان بالإيمان.

مقدمة الطبعة الثانية

سيظل شخص الرب يسوع المسيح هو محور تعجب الكثيرين، لا شك فى ذلك لأنه مكتوب عنه "ويدعى اسمه عجيباً" (أشعياء ٩: ٦).

فهو الذى جمع فى ذاته اللاهوت والناسوت معاً، أنه الله الظاهر فى الجسد (تيموثاوس الأولى ٣: ١٦).

إن الله الواحد الذى يتعبد له المسيحيون، هو إله المحبة، الذى من فرط محبته للبشر أتى إليهم فى صورة إنسان يتحدث معهم ويخاطبهم، ويشفى مرضاهم ويقيم موتاهم، جاء ليعلن لهم الطريق الوحيد للخلاص، الطريق الذى بحثت عنه البشرية منذ القدم فانحرفت إما فى العبادات الوثنية الباطلة، أو انحصرت فى ظلال ورموز العبادة اليهودية.

إن هذا الكتاب محاولة مبسطة لإزالة ذلك التعجب الذى أصبح بنعمة الله حقيقة إيمانية راسخة فى قلوب الكثيرين الذين تغيرت حياتهم جذرياً بالإيمان بالرب يسوع المسيح ابن الله الحى.

ولا يسعنا إزاء هذا الموضوع العظيم إلا تقديم الشكر لله الذى شجعنا برسائل القراء الذين استفادوا من الطبعة الأولى، ونظراً للخطابات الكثيرة التى وردت إلينا من الرعاة والخدام فى مختلف الطوائف والكنائس بطلب هذا الكتاب وكلها تؤكد أهمية موضوع الكتاب لجمهور المسيحيين بصفة عامة وللشباب بصفة خاصة.

لهذا رأينا بنعمة الله ومعونته أن نعيد طباعة الكتاب ثانية بعد أن نفذت الطبعة الأولى فى فترة وجيزة، وقد أضفنا إلى هذه الطبعة إيضاحا مختصراً عن رؤية أنبياء العهد القديم لله.

ونحن نقدم هذه الطبعة الثانية لجمهور المسيحيين ، نصلى إلى الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه وتثبيتاً لإيمان الكثيرين. آمين.

مقدمة الطبعة الثالثة

إن هذا الكتاب يقدم للقارئ العزيز شخصاً حياً مباركاً لا موضوعاً للجدل والنقاش. هذا الشخص الفريد هو ربنا يسوع المسيح الذى قال عن نفسه : "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا١٤: ٦).

إن حاجتنا ونحن نسير متجهين إلى الأبدية أن نعرف الطريق الصحيح الذى نسلك فيه ولا سيما أننا نعيش فى عالم طغت فيه الماديات التى شدت الكثيرين من المسيحيين بعيداً عن هذا الطريق المبارك.

وليس ذلك فقط بل لقد غاب عنهم الحق الذى يختص بشخص ربنا يسوع المسيح ابن الله الحى. هذا الحق الذى قال عنه الرب " تعرفون الحق والحق يحرركم" (يو٨: ٣٢). فبدون معرفة الحق ليست هناك حرية حقيقية. أما الحياة التى يجب أن ينشدها كل إنسان مسيحى فهى ليست حياة أرضية فكم من كثيرين هم أحياء بالجسد ولكن أموات بالذنوب والخطايا (أفسس ٢: ١)، لأن الحياة كما هو مكتوب هى فى ابنه "لأنه فيه كانت الحياة" (يوحنا١: ٤)، وكما هو مكتوب أيضاً: "هذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١يو ٥: ١١، ١٢).

الباب الأول
إبن الله

هو اسم من أسماء المسيح، ونظراً لأنه موضوع تساؤل الكثيرين سنبدأ بشرح مدلول هذا الاصطلاح "ابن الله".

أولاً: نستبعد من أذهاننا الولادة الجسدية:

الله روح والذين يسجون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا (يوحنا ٤: ٢٤)إن المعنى الجسدى لكلمة "الابن" لا ينطبق على "أقنوم الابن".. فالكتاب المقدس يعلن أن الله روح (يوحنا٤: ٢٤، ٦: ٦٣)، (ليس بمعنى روح مثل أرواحنا ولكن بمعنى أنه غير المنظور غير المدرك)، والروح لا تركيب فيه ولا يتناسل على الإطلاق ولا يتعرض للزيادة أو النقصان. كما أن الكلام عن الثالوث هو الآب والابن والروح القدس وليس هو (الأب والأم والابن) فيجب علينا قبل كل شئ أن نستبعد عن أذهاننا فكرة التوالد الجسدى الخاص بالبشر لأن هذا لا يتفق مع روحانية الله وطبيعته السماوية.

ثانياً: الفرق بين اصطلاح "ابن الله" و "ولد الله"

ونرى هنا ضرورة إيضاح الفرق بين معنى اصطلاح "ابن الله " وبين القول "ولد الله" ذلك لأن هناك فرقاً بين الأب والوالد، فالأب ليس هو الوالد. لأنه يمكن أن يكون الشخص أباً دون أن يكون له أولاد، بينما لا يمكن أن يكون هناك والد دون أن تكون هناك ولادة. لذلك لم يذكر الكتاب المقدس هذا التعبير "ولد الله" ولا مرة واحدة عن المسيح. فضلاً عن ذلك فتعبير "ولد الله" يدل على التعاقب أو التناسل، أما تعبير "ابن الله" يدل على المركز أو المقام، فالأستاذ مثلاً الذى يفتخر بتلميذ له يقول عنه أنه ابنه دون أن يكون مولوداً منه.

ثالثاً: بنوة المسيح لله ليست بنوة مجازية.

هنا نجد سؤالاً يفرض نفسه وهو، هل هناك فرق بين بنوة أقنوم الابن وكل بنوة مجازية ؟ أقول لك نعم.. هناك فرق شاسع بين اصطلاح "ابن" الذى يستعمل مجازاً للدلالة على صفة إنسان مثل "ابن السلام" و "ابن الثورة" أو للإشارة إلى موطنه مثل "ابن مصر" أو "ابن الهند". أو للإشارة إلى زمن وجوده مثل " "ابن العصر الحاضر" أو "ابن العصر الماضى" ، وبين أقنوم "ابن الله"، فهذا اسمه الشخصى وليس لقباً له، كما سيأتى ذكره. وبذلك تكون نسبة "الابن" إلى الله، ليست نسبة مجازية مثل نسبة اليد أو العين أو القلب إليه، لأن هذه يراد بها معانى، فيد الله إنما يراد بها معونته، وعين الله إنما يراد بها رعايته، وقلب الله إنما يراد به محبته.

رابعاً: بنوة المسيح لله تختلف فى جوهرها عن بنوة الملائكة والمؤمنين الحقيقيين:

قد تسأل أيضاً ألسنا نطلق تعبير" أبناء الله" على الملائكة والمؤمنين الحقيقيين. وبالتالى فإن تسمية المسيح "ابن الله" لا يكون إلا كواحد من هؤلاء أو أولئك؟!!

يا أخى .. ارجع معى إلى الكتاب المقدس بعهديه تجد أن الملائكة يدعون مرتين فقط بنو الله (أيوب ١: ٤٦، ٢: ١). كذلك ورد ما يعبر عن بنوة البشر لله بصفة عامة وبنوة المؤمنين الحقيقيين لله بصفة خاصة، وعن أبوة الله لهم مثل قول الله عن بنى إسرائيل "إسرائيل ابنى البكر" (خروج٤: ٢٢) وقول بنى إسرائيل لله "تطلع من السماوات وانظر فانك أنت أبونا .. أنت يارب أبونا" (أشعياء ٦٣: ١٥، ١٦). وقول ربنا يسوع لتلاميذه: "ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السماوات" (متى ٢٣: ٩). وقول اليهود للرب يسوع: "لنا أب واحد وهو الله" (يوحنا ٨: ٤١).

بعد عرض كل هذه الآيات يتضح لنا:

أولاً: بالنسبة للملائكة فقد دعوا أبناء الله لأنهم خليقة الله السماوية.
ثانيا: بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين فقد دعوا بهذا الإسم لأنهم بتوبتهم عن الخطيئة وإيمانهم بالمسيح إيماناً حقيقياً قلبياً، قد اتحدوا به روحياً، وسكن فيهم الروح القدس، وأعطاهم حياة روحية تؤهلهم للتوافق مع الله والحياة بحسب مشيئته فى القداسة.
ثالثا: بالنسبة للبشر بصفة عامة فإنهم دعوا هكذا للدلالة على أن الله مصدر وجودهم كخلائق حية أى أنه أب للخليقة كلها بسبب الخلق فقط.

بذلك تكون البنوة هنا مبنية على اعتبارات أدبية وعلاقات روحية بين الله وخلائقه الحية العاقلة التى اختصها لنفسه لتكون على صلة به.

هنا تبرز أهمية الفرق بين اللقب وبين الاسم الشخصى، فاللقب يقصد به الإشارة إلى علاقة من العلاقات، أو صفة من الصفات. أما الاسم فيقصد به التعبير عن الشخصية نفسها. واصطلاح "ابن الله" ليس هو لقباً للمسيح كما هو الحال فى اصطلاح "ابناء الله" الذى يطلق على الملائكة والمؤمنين الحقيقيين بصفة خاصة والبشر بصفة عامة، ولكنه اسمه الشخصى له المجد.

فالمسيح لم يدع بهذا الإسم لأى سبب من الأسباب السالفة، ولكن دعى هكذا لأنه من الناحية الجوهرية هو الذى يعلن "ذات الله" منذ الأزل الذى لا بداية له، إلى الأبد الذى لا نهاية له، فهو بذلك فريد فى شخصه ومركزه ومهمته. لذلك لا يجوز الخلط بين بنوة المسيح الفريدة وبين بنوة أحد الخلائق لله.

خامساً: بنوة المسيح لله بنوة فريدة:
لم يدع الكتاب المقدس أمر بنوة الملائكة والمؤمنين الحقيقيين بصفة خاصة والبشر بصفة عامة يختلط علينا، لذلك دعى المسيح ابن الله الوحيد، لتميزه بهذه البنوة، فمكتوب:

الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر
(يوحنا ١: ١٨)

وأيضاً، "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يوحنا٣: ١٦)، أيضاً "الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا٣: ١٨)، وأيضاً: "الله أرسل ابنه الوحيد" (١يوحنا ٤: ٩).

وكلمة الابن الوحيد وردت فى اللغة اليونانية بمعنى وحيد الجنس، ويقصد بها أن لا يدانيه أو يساويه أحد على الإطلاق فى بنوته لله، لأنه واحد مع الآب فى الجوهر وشخص ليس له نظير على الإطلاق فى بنوته لله لا يمكن أن يكون ملاكاً أو إنساناً، لأن هناك ملائكة كثيرين ومؤمنين كثيرين، وعدد لا يحصى من البشر عموماً.
ولا يفوتنا هنا أن نبين أن بنوة الملائكة والمؤمنين الحقيقيين هى منحة من الآب لهم دون أى استحقاق ذاتى فيهم.

سادساً: لماذا سمى المسيح بابن الله ؟
ربما يا أخى تقول فى نفسك: ألم يكن ممكناً أن يسمى هذا الاقنوم بأى اسم آخر غير الابن؟! إن السبب فى تسمية هذا الأقنوم بـ "الابن" ، يرجع إلى أنه هو "المعلن لله" ، وهذا ليس بغريب علينا نحن البشر، فالبنوة فى لغتنا البشرية تدل على معان مجازية كما سبق وذكرنا. أيضاً

تدل على التشابه فى الصفات والخواص، فنحن إذا رأينا إنساناً يشبه أباه فى شكله أو أخلاقه، نقول أنه حقاً ابن أبيه (مع الفارق الكبير بسبب تفرد الله باللاهوت والأزلية وتنزهه عن الجسدانية بكل صورها). وبذلك يكون "أقنوم الابن" قد دعى بهذا الاسم، ليس لأنه يشبه الله (لأن الله لا شريك له أو شبيه)، بل لأنه هو الذى يعلنه أو بتعبير آخر لأنه هو الله معلناً، لأنه لا يعلن ذات الله أو يظهره سواه ، إذ أنه لا نظير أو شبيه له حتى يقوم بهذه المهمة.

لعل القارئ يكون قد أدرك مما سبق ذكره أن الابن هو الذى يعلن ذات الله أو اللاهوت منذ الأزل وإلى الأبد، لذلك ، كان أمرا بديهياً أنه إذا أراد تعالى أن يعلن ذاته لنا يكون ذلك بواسطة أقنوم "الابن" فالله الذى لا يمكن رؤيته أو معرفته فى ذاته أو فى لاهوته يصبح من الميسور لنا رؤيته ومعرفته فى "الابن". هذا ما حدث فعلاً، فقد ظهر لنا "الابن" متجسداً، وبظهوره رأينا وعرفنا الله الذى لا يمكن رؤيته أو معرفته مباشرة. لذلك قيل بالوحى "الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر (أعلن) (يوحنا ١: ١٨)، وأيضاً قيل عنه "أنه الله الظاهر فى الجسد" (١تيموثاوس ٣: ١٦).

سابعاً: حقيقة بنوة المسيح لله من وجهة نظر العهد القديم:

عندما قال المسيح لليهود" أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا٥: ١٧). يذكر لنا الكتاب أنهم طلبوه ليقتلوه لأنه قال أن الله ابوه معادلاً نفسه بالله (أى معلناً ذات الله أو بالحرى الله معلناً). ولم يحاول الرب يسوع أن ينفى عن نفسه هذه الحقيقة، بل أيدها وثبتها إذ صرح بعد ذلك قائلاً: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). وبهذا التصريح أوضح أنه واحد مع الآب فى الجوهر والقدرة والمجد، وأدرك اليهود قصده فرفعوا حجارة ليرجموه. ونحن ما كنا بحاجة إلى مجهود لإيضاح معنى اصطلاح "ابن الله" وإثبات أنه "المعلن لله" أو "الله معلناً" ، لو أن الاصطلاحات الدينية كانت شائعة بيننا الآن، كما كانت وقت وجود المسيح على الأرض، لأن اليهود كانوا يعرفون وقتئذ أن "ابن الله" يقصد به "ذات الله".

أما كون اليهود رفعوا حجارة ليرجموه، فلم يكن ذلك نتيجة لرفضهم الاعتقاد بوجود ابن خاص لله، لأن هذا الحق معلن بكل وضوح فى التوراة (مزمور٢، أمثال٣٠، أشعياء٤٨)، بالإضافة إلى ذلك كانوا هم أنفسم يتوقعون ظهور هذا الابن فى أيامهم، فقد سألوا المسيح مرة: "أأنت المسيح ابن المبارك" (مرقس١٤: ٦١). أما سبب محاولتهم رجم المسيح يرجع إلى أنهم كانوا يعتقدون أن "ابن الله" سيأتى بقوة و بطش لكى يهزم الرومان ويسترد لهم مملكة سليمان، وغاب عنهم ما جاء فى التوراة، أنه سيأتى بمحبة خالصة لكل الناس لكى يقودهم إلى التوبة والحياة مع الله، كما فعل تماماً إذ وضع نفسه للموت من أجل خلاص الذين يؤمنون به إيماناً حقيقياً فى كل أنحاء العالم، محتملاً فى هذا السبيل آلام الكفارة التى تفوق فى هولها العقل والإدراك، وهذا ما نراه مذكوراً فى (أشعياء ٥٣- مزمور ٢٢: ٦٩) على سبيل المثال لا الحصر.

ثامنا:إدراك الكثيرين لبنوة المسيح لله:

كان المسيح فى أيام وجوده بالجسد على الأرض .. يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (متى٩: ٣٥). من ذلك أدرك البعض أنه "ابن الله" على أساس ظهور صفاته الإلهية.

فمثلاً صاح نثنائيل قائلاً له : "أنت ابن الله" (يوحنا ١: ٤٩). ويجب أن نلاحظ هنا أن المسيح لم يوبخ نثنائيل على قوله بل بالعكس أثنى عليه مما يدل على صحة ما قاله. كما قالت

مرثا "أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله" (يوحنا ١١: ٢٧)، وكان هذا القول نتيجة إعلان المسيح عن صفاته الإلهية عندما قال: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥). وقد قبل المسيح شهادة مرثا عنه قبولاً تاماً.

عندما سأل المسيح تلاميذه قائلاً : "وأنتم من تقولون أنى أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السماوات" (متى١٦: ١٥-١٧).

كما أن السيد المسيح لما رأى أن كثيرين من تلاميذه رجعوا ولم يعودوا يمشون معه قال للاثنى عشر "ألعلكم انتم أيضاً تريدون ان تمضوا فأجابه سمعان بطرس يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى" (يوحنا ٦: ٦٧-٦٩).

هكذا الحال أيضاً عندما أظهر لتلاميذه قدرته على كل شئ فى تسكين العاصفة وتهدئة الريح، "والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله" (متى١٤: ٣٣).

ولم يقتصر الإدراك بأن الرب يسوع هو "ابن الله" على اليهود الذين آمنوا به فقط، بل تعداه إلى الأمم أيضاً (خلاف اليهود فى ذلك الوقت) عندما لمس قائد المئة والذين كانوا يحرسون يسوع عند الصليب مجده الأدبى من هدوء ومحبة وصفح وغفران. وكذلك لما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله" (متى٢٧: ٥٤).

تاسعاً: شهادة الابن لنفسه:

إن الذين ينكرون لاهوت المسيح، يسلمون بأنه كان رجل صالح ويعتقدون بأنه نبى أو رسول، ونحن تمشياً مع حقيقة أنه صالح نورد من نفس أقواله ما يدل على لاهوته، لأن الرجل الصالح أو النبى الصادق لا يمكن أن يدعى اللاهوت لنفسه وإلا كان من أردأ الناس.

فى قصة المولود أعمى الذى صنع له المسيح من الطين عينان أبصر بهما، واجه هذا الشاب اضطهاداً من اليهود حتى أنهم أخرجوه خارج المجمع. "فسمع يسوع أنهم أخرجوه فوجده وقال له أتؤمن بابن الله. أجاب ذلك الذى كان أعمى وقال من هو ياسيد لأؤمن به. فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن يا سيد وسجد له" (يوحنا٩: ٣٥-٣٨). هذا القول الصريح الواضح يؤكد أن المسيح هو ابن الله.

عندما تكلم المسيح مع إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود، عن كيفية الولادة من فوق، وأشار إلى صلبه الذى كان سيتم قائلاً له المجد: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا٣: ١٦-١٨).

وعندما تناول اليهود حجارة ليرجموه، سألهم المسيح لأى سبب ترجموننى. أجاب اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت انسان تجعل نفسك إلهاً. أجابهم يسوع قائلاً: "الذى قدسه (خصصه) الآب وارسله إلى العالم أتقولون له أنك تجدف لأنى قلت أنى ابن الله" (يوحنا ١٠: ٣٦).

سأل رئيس الكهنة رب المجد يسوع قائلاً: "أأنت المسيح ابن المبارك فقال له يسوع أنا هو" (مرقس١٤: ٦١، ٦٢). وعندما استحلفه رئيس الكهنة قائلاً له: ".. استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت أى أنت أجبت بالصواب" (متى٢٦: ٦٣، ٦٤).

عاشراً: أزلية الابن:

يستلزم الأمر هنا أن نبين الفرق بين بنوة المسيح الأزلية لله وبين بنوته فى الزمان بوصفه "ابن الإنسان" لأن البعض يخلط بينهما فبنوة الابن الأزلية خاصة بالناحية الجوهرية فى ذاته الإلهية أما بنوة الابن التى حدثت فى الزمن فهى خاصة بتجسده وولادته من العذراء. فمكتوب "الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥).

من هذا يتضح لنا أن للمسيح بنوتين، **الأولى** قائمة أساساً بدون ولادة، إذ أنها أزلية بأزلية الله أما **الثانية** فهى بالتجسد عند ولادته بقوة الروح القدس من العذراء (أى بدون أب بشرى على الإطلاق).

وإذ قد اتضح لنا أن المسيح هو ابن الله أى هو المعلن لله أو الله معلناً فى ذاته وصفاته. تنجلى أمامنا هذه الحقيقة الكلية الأهمية – وهى أن البنوة لا تعنى أن المسيح مخلوق- بمعنى أنه لا يسمى ابن الله لأن الله خلقه، بل لأنه المعلن لله منذ الأزل. هذا يأتى بنا إلى النتيجة الحتمية وهى أنه الواحد مع الآب فى الأزلية. فأزلية الابن هى أزلية الآب تماماً . ولما اتخذ له جسداً لم يغير هذا من مقامه كالابن الأزلى، بل استمر هو الابن، فهو الابن بلاهوته مع الآب والروح القدس. وهو أيضاً الابن بناسوته القدوس الطاهر.

لقد شهد الآب بذلك أكثر من مرة بقوله: "هذا هو ابنى الحبيب" عند الأردن (متى ٣: ١٧) " وعلى جبل التجلى" (بطرس ١: ١٧).

أخيراً نقول : إن الابن الذى كان فى الأزلية التى لا بداءة لها، استمر مقيماً فى هذه العلاقة البنوية حتى عند ولادته فى ملء الزمان (غلاطية٤: ٤) أى أن ظهور الابن فى الجسد لم يحدث أى تغيير فى لاهوته الأزلى. هذا واضح فى قول المسيح له المجد" ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الانسان الذى هو فى السماء" (يوحنا٣: ١٣).

فهو الابن الوحيد الذى فى حضن الآب منذ الأزل: "الابن الوحيد الذى هو فى حضن[*] الآب هو خبر" (يوحنا ١: ١٨) أيضاً فى قول الكتاب: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة.." (غلاطية ٤: ٤) وهذا النص يؤكد حقيقة بنوة المسيح الأزلية من قبل تجسده.

فواضح أن الذى جاء مولوداً من امرأة هو الابن الأزلى فهو لم يصبح ابنا بالولادة بل كان الابن قبل ولادته من العذراء فمكتوب : لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم (يوحنا ٣: ١٧).

كما لا يجب أن يغيب عن بالنا أنه لا يوجد فى الكتاب المقدس إشارة إلى أى زمن بدأ الله يكون فيه أباً، ولا أى زمن أصبح فيه الابن ابنا، وكما أن أبوة الآب أزلية، هكذا بنوة الابن أزلية أزلية الآب تماماً.

أنت ابنى أنا اليوم ولدتك:

قد يعترض البعض أن بنوة الابن ليست بنوة أزلية بحجة أنه ورد فى الكتاب المقدس آية تقول: "أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك" (مزمور ٢: ٧). من الأهمية بمكان أن نلاحظ الترتيب الإلهى الحكيم فى القول "أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك" فبحسب هذا الترتيب تكون البنوة الأزلية قبل الولادة الزمنية، ففى الأزل هو ابن الله، ثم بعد ذلك تأتى الولادة أو التجسد "أنا اليوم ولدتك" وعبارة "أنا اليوم ولدتك" تنتقل بنا من دائرة الأزل إلى دائرة الزمن، لأن "اليوم" هو معيار الزمن ولا دخل له بالأزل. وهو ينفى اطلاقاً الفكرة الخاطئة التى تقول أنه يعنى أجيالاً سرمدية.

---

[*] **وكلمة "حضن" لا يقصد بها هذا المعنى الحرفى بل الروحى أى أنه ليس "حضن" مادى، والمعنى الروحى يعبر عن العواطف والمحبة والاتحاد المتبادل بين الأب والابن وما يتبع ذلك من الإحاطة بكل الأسرار والمقاصد، فالحضن هو مركز الابن الدائم.**

بذلك يتضح جلياً أن هذه الآية تعد واحدة من الآيات التى تنبأت عن ولادة الابن فى الزمن بالتجسد.وأنه لمن الخطأ الفاحش أن نقر بأية ولادة فى اللاهوت سواء فى الأزل او فى عرض الزمن لأن الولادة لا ينسب إلا إلى الناسوت.

حادى عشر: اقتران اسم "الابن" باسم "الآب".

توجد تصريحات لربنا يسوع تدل على وحدانيته التامة فى الجوهر مع الآب منها قوله: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). وفى هذا التصريح الجليل نرى أمرين هامين:

أولاً: التمييز الأقنومى بين الآب والابن: فالقول "أنا والآب واحد" إنما يعنى فى مضمونه التمييز الواضح بين شخص الآب والابن أو بتعبير أدق بين أقنوم الآب وأقنوم الابن (كما سبق أوضحنا أن كلمة أقنوم أدق من كلمة شخص فى الحديث عن الثالوث الأقدس (الآب والابن والروح القدس).

ثانياً: وحدة الأقانيم فى اللاهوت: فبينما الابن والآب اقنومان متميزان غير أنهما واحد فى الجوهر (أى فى اللاهوت)، هذه الوحدانية تتضمن استحقاق الابن لمجد مساو لمجد الآب لذلك يقول "لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من يكرم الابن يكرم الآب الذى أرسله" (يوحنا ٥: ٢٣).

يؤيد هذه الوحدانية، أنه كما يرد اسم الاب قبل اسم الابن فى بعض الآيات، هكذا يرد اسم الابن قبل الآب فى بعض الأيات الأخرى، فيقول الرب يسوع "أنا والآب واحد" ولا يقول: "الآب وأنا" (يوحنا ١٧: ٢٢) أيضاً قول الرسول بولس ، "بولس رسولاً لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح والله الآب" (غلاطية١: ١).

الباب الثانى

صفات وامتيازات المسيح الإلهية
التى ينفرد بها بوصفه الله

إن الأزلية والأبدية، الوجود الذاتى، عدم التغير، القدرة على كل شئ. العلم بالخفيات وبكل شئ ، الحضور فى كل مكان، القداسة المطلقة، لا يتصف بها سوى الله كما أن الإيمان به والسجود له وتقديم العبادة إليه، هى من الامتيازات التى يتمتع بها الله وحده دون سواه، ولكن مع ذلك نجد أن جميع هذه الصفات والامتيازات يتصف بها المسيح، مما يقطع الشك باليقين بأن المسيح هو الله.

١-أزليته وأبديته

إذ نتأمل فى هذه الناحية من صفات المسيح، يأخذ الكتاب المقدس أفكارنا إلى أعماق الأزل السحيقة التى لا بدء لها، ثم يتجه بنا إلى المستقبل الذى لا نهاية له – إلى الأبدية اللانهائية.

قد تنبأ ميخا النبى سنة ٧٥١ق.م. تقريباً بقوله: "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا٥: ٢). والعبارة "منذ أيام الأزل" هى بعينها العبارة الواردة عن الله فى (مزمور٩٠: ٢) "منذ الأزل .. أنت الله" والمسيح يقول عن نفسه فى نبوة أشعياء "لم أتكلم فى الخفاء منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلنى وروحه" (أشعياء٤٨: ١٦). واضح أن الابن هنا يتكلم عن أزليته المساوية تماماً لأزلية الآب، فمنذ وجود الله هو هناك. فى الحقيقة أن هذا التصريح الكتابى الواضح كاف كل الكفاية لإثبات أزلية ربنا يسوع المسيح.

فلم تكن هناك لحظة فى الأزل لم يكن فيها الابن موجوداً ، وإذا رجعنا إلى العهد الجديد فإننا نجده حافلاً بمثل هذه التصريحات عن أزلية الرب يسوع المسيح.

كما أعلن الرب يسوع المسيح أزليته عندما صرح لليهود "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٨)، لم يقل: "أنا كنت" لأن هذا معناه أنه وجد فى تلك الأيام وأنه لم يكن موجوداً قبل ذلك، لكن بقوله "أنا كائن" اتخذ اسم "يهوه"[*] الأزلى الأبدى، وقد فهم اليهود ذلك. ولما كانوا يجهلون شخصه المبارك اعتبروه مجدفاً مستحقا للرجم (كما سبق الإشارة إلى ذلك).

على ضوء كلمات الرب يسوع نفسه نستطيع أن نفهم معنى الكلمات الافتتاحية لإنجيل يوحنا "فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يوحنا١: ١).

فى البدء معناها فى الأزل "كان الكلمة" أى كان موجوداً فهو لم يبدأ وجوده فى البدء بل كان فى البدء كائناً موجوداً بذاته لم يخلقه آخر ولم يولد من آخر، هذا ما ينفى عن "الكلمة" أنه مخلوق.

يقول أحد رجال الله أن القول "فى البدء" يعود بنا إلى الأزل السحيق. فليرجع الفكر إلى أقصى ما يستطيع ويشاء فى أعماق الأزل العميقة، ليتصور ملايين من الأحقاب. ولكن حتى هذا المدى البعيد ليس هو الذى تعنيه كلمة "البدء". مع أنه ليس من الصواب ولا من الدقة فى التعبير أن نذكر شيئاً اسمه أحقاب أو سنين فى الكلام عن أزلية لا تسرى عليها أقيسة الزمن، لكن عد بخيال تفكيرك إلى تلك الأعماق اللانهائية، هناك كان "الكلمة" موجوداً أى الابن الأزلى الذى لا بدء له الذى كان "عند الله" بكيانه الشخصى الكامل.

---

[*] معناها الكائن بذاته.

فليس هناك حقبة من الزمن يمكنك أن تأخذها فى الأزلية، أو نقطة يمكنك أن ترجع إليها بفكرك وخيالك قبل عمل الخليقة إلا وكان الكلمة الذى هو الابن هناك "فى البدء" "وكان الكلمة الله".

فى خاتمة أسفار الكتاب المقدس يتكلم المسيح عن مجده معلناً ثلاث مرات أنه "الأول والآخر" ، والألف والياء ، البداية والنهاية" (رؤيا ١: ١٧، ١٨، ٢: ٨، ٢٢: ١٣). وواضح أن اسمه "الأول" يعنى "الذى لا بداءة له" و"الآخر" يعنى "الذى لا نهاية له". و"الألف" تعنى أنه لم يكن قبله آخر. و"الياء" تعنى أنه لا يأتى بعده آخر.

من هذا نفهم أنه كما أن الله هو الأزلى الأبدى، هكذا الابن أيضاً، وهذا ما يخرجه اخراجاً تاماً عن دائرة الخليقة والمخلوقات".

٢- وجوده الذاتى

كل كائن فى الخليقة سواء فى السماء أو على الأرض، علة وجوده هو الله، ولا يوجد من هو كائن بذاته، أو قائم بذاته سوى الله وحده – لأنه لا يستمد وجوده من آخر، هذا أمر مسلم به.

أما المسيح فوجوده الذاتى حقيقة ذكرت فى مواضع كثيرة فى كلمة الله مما يؤكد أنه والله واحد.

يعلن لنا الروح القدس أمجاد ربنا يسوع المبارك كابن الله فى انجيل يوحنا فيقول مثلاً: "هذا كان فى البدء عند الله" (يوحنا ١: ٢) هنا نراه لا يقول هذا "أوجد" ولا "خلق" ولا "كون". بل يقول صريحاً "هذا كان" أى كائن بذاته. يضيف إلى ذلك أنه – له المجد- لم يكن كائناً بذاته فقط، بل أنه هو مصدر الحياة والوجود، هذا واضح من القول "فيه كانت الحياة" ، أى أن الحياة هى فيه من ذاته وليست مستمدة من آخر. فهو الكلمة الحى بذاته هو رئيس الحياة (أى مبدعها) كما جاء فى (أعمال ٣: ١٥).

تأييداً لهذه الحقيقة الثابتة يقول الرب يسوع نفسه عن "روحه" كابن الإنسان "ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن أخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٨) . فمن ذا الذى له هذا السلطان سوى الله وحده. إن ربنا يسوع قد وضع حياته كفارة عن العالم، وفدية عن البشرية، باختياره الشخصى بمقتضى سلطانه الذاتى. وهو أيضاً استردها بسلطانه الذاتى بالقيامة من بين الأموات. هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت حياته فى ذاته، غير مستمدة من آخر. نعم "فيه كانت الحياة" (يوحنا ١: ٤).

٢-عدم تغيره

لا يختلف اثنان فى أن صفة عدم التغير هى من الصفات التى ينفرد بها الله. لا يشترك معه فيها أحد كما هو مكتوب "لأنى أنا الرب لا أتغير" (ملاخى٣ : ٦)، أيضاً: "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يعقوب ١: ١٧).

قصد الوحى الالهى أن ينسب هذه الصفة أيضاً إلى ربنا يسوع المسيح كالله، فقد ورد عند الحديث عن المسيح فى (عبرانيين ١: ١٠، ١٢)، "وأنت يارب فى البدء أسست الأرض والسماوات هى عمل يديك، هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى". أيضاً "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣: ٨).

فى الحقيقة أن هذه البراهين الكتابية لم تتوقف عند حد أنها مكتوبة لنقر بها ونصدقها مع أن هذا أمر ضرورى لكل من يريد أن يؤمن. لكن إن سألت أى مؤمن حقيقى قد قبل المسيح مخلصاً له بالإيمان القلبى، تجده قد تمتع يوماً بعد يوم بهذه الحقيقة مؤكداً أن هذا الشخص الفريد

الذى سلم له الحياة واعتمد عليه من قلبه، هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ، وفيا محباً بكل ما فى هذه الكلمات من معنى .

٤- قدرته على كل شئ

معروف أن كل نبى أرسله الله إلى هذه الأرض اجرى معجزات لكنه لم يفعلها بقوته الشخصية بل بقوة الله. أما المسيح له المجد فقد أجرى المعجزات بقوة لاهوته. والقدرة على كل شئ تفرد بها الله وحده. وعبارة القادر على كل شئ وردت فى العهد الجديد وصفاً لله ستة مرات (٢كورنثوس٦: ١٨، رؤيا٤: ٨، ١١: ١٧، ١٥ ٣، ١٦: ٧ و ٢١،٢٢: ٢). كما اتصف بها الرب يسوع عندما قال " يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ" (رؤيا١: ٨).

مما يثبت إثباتاً أكيداً أن ربنا يسوع المسيح هو الله القادر على كل شئ.إن قدرة الله على كل شئ ظهرت فى السلطان الإلهى للابن على الطبيعة "قام (المسيح) وانتهر الريح وقال للبحر اسكت – ابكم. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم" (مرقس٤: ٣٩). نعم .. "من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه" (مرقس ٤: ٤١).

قد يفكر البعض أن المسيح كانت له قدرة فريدة فى التأثير النفسى على المرضى، وبحسب اعتقادهم هذا كان شفاءه لهم نابعاً من قدرة فائقة على الإيحاء والتأثير النفسى.

لكن لهؤلاء نقول أنه قد ظهرت قدرة المسيح على شفاء المرضى حتى دون رؤيتهم، ففى يوحنا (٤: ٤٦) جاءه خادم للملك ابنه مريض فى كفرناحوم وكان المسيح فى قانا الجليل وسأله أن ينزل إلى كفر ناحوم ليشفى ابنه لأنه كان مشرفاً على الموت. وتوسل إليه الرجل قائلاً : "يا سيد أنزل قبل أن يموت ابنى" (عدد ٤٩). وهنا تظهر قدرة لاهوت المسيح فيقول لخادم الملك : "اذهب. ابنك حى". فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب. وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين أن ابنك حى. فاستخبرهم عن الساعة التى فيها أخذ يتعافى فقالوا له أمس الساعة السابعة تركته الحمى "ففهم الأب أنه فى تلك الساعة التى قال له فيها يسوع أن ابنك حى" (عدد ٥٠: ٥٣).

كما أدرك قائد مئة ذلك فطلب من يسوع أن يشفى ابنه المفلوج فى البيت فقال له يسوع "أنا أتى وأشفيه" ، فأجاب قائد المئة وقال: "قل كلمة فقط فيبرأ غلامى" فرد يسوع قائلاً: "اذهب وكما آمنت ليكن لك، فبرأ غلامه فى تلك الساعة" (متى٨: ٥-١٣).

كما أقام المسيح ميتاً بعد أن انتن. هذه المعجزة تتحدى بصورة قاطعة كل منكر للاهوت المسيح. فالإنسان مع ما وصل إليه من علم فى القرن العشرين ما زال عاجزاً عن أن يقيم ميت بعد لحظات من وفاته. فكم بالحرى بعد أربعة أيام وبعد أن سرت فى جسده عناصر التعفن والفناء!! هذه هى قصة إقامة لعازر من الموت "فلما أتى يسوع وجد أنه (لعازر) قد صار له أربعة أيام فى القبر" ، فأمر أن يرفع الحجر الموضوع على باب القبر "فرفعوا الحجر حيث كان موضوعاً.. وصرخ يسوع بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً" (يوحنا ١١: ١٧و ٤١و٤٣).

يقول أحد رجال الله: لو أن الرب يسوع لم يدع لعازر باسمه لقام جميع من فى القبور من قوة صوت الرب القادر على كل شئ.

ثم ماذا نقول عن معجزة إشباع الجموع الغفيرة من خمسة أرغفة وسمكتين. يقول الكتاب المقدس "مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا أياته التى كان يصنعها فى المرضى" (يوحنا٦: ١و٢). كان عدد الناس نحو خمسة آلاف من الرجال. ترى أى طعام يكفى مثل هذا العدد الكبير من الناس؟ لكننا نرى الرب يسوع وقد جاء له واحد من تلاميذه قائلاً له: "هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان. ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟!".

لكن يسوع أخذ الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. فلما شبعوا قال لتلاميذه أجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شئ

فجمعوا وملأوا اثنتى عشر قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين" (يوحنا٦: ٩-١٣).

إن المعجزات التى صنعها المسيح سواء لتطهير أبرص أو شفاء مريض أو إعادة البصر إلى أعمى أو إقامة ميت من قبره أو غير ذلك. تمت كلها لإظهار حب الله وحنانه وقدرته على كل شئ.

إن آيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا٢٠: ٣٠، ٣١).

٥-علمه بالخفيات وبكل شئ

هذه أيضاً صفة من صفات الله تعالى لا يمكن أن يشاركه فيها أحد. اتصف بها المسيح ابن الله. فقد عرف المسيح أفكار الكتبة والفريسيين دون أن يبوحوا بها.

فعندما قدم للمسيح رجلاً مفلوجاً، "قال للمفلوج يا بنى مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون فى قلوبهم.. من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده. فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم " (مرقس ٢: ٥-٨).

فى (لوقا ٧: ٣٩) "نرى المرأة الخاطئة التى أتت عند قدمى يسوع باكية وكانت تمسح رجليه بشعر رأسها، ولما رأى الفريسى (الذى دعى المسيح ليأكل معه فى بيته) ذلك الموقف من الرب يسوع تكلم فى نفسه قائلاً لو كان هذا نبياً لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وما هى أنها خاطئة. فأجاب يسوع وقال له سمعان عندى شئ أقوله لك" والملاحظ هنا قول الوحى فأجاب يسوع، وكأنه سمع ما فكر فيه الفريسى على الرغم من أن الكتاب يقول أنه تكلم فى نفسه.

كما أعلن للمرأة السامرية أسرار حياتها الماضية والحاضرة مع أنه لم يسبق له أن تقابل معها من قبل (يوحنا٤)، مما جعل المرأة تدرك أنها ليست أمام إنسان عادى، لكنها أمام فاحص القلوب والكلى فكشف لها عن شخصه، وآمنت به وذهبت إلى مدينتها تنادى بالمسيح قائلة أنه قال لها كل ما فعلت. فآمنت المدينة بأكملها. لقد عرف موت لعازر مع أنه كان بعيداً عن بيت عنيا حيث مات لعازر. قال الرب يسوع لتلاميذه "لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه" (يوحنا ١١: ١١).

عندما رأى الرب يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال: "هوذا إسرائيلى لا غش فيه" (يوحنا١: ٤٧). على الرغم من أنه لم يره من قبل مما أثار دهشة نثنائيل فسأل المسيح "من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له" قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك. أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة. سوف ترى أعظم من هذا"(يوحنا١: ٤٨-٥٠).

ومن أعجب الأمور التى أظهرت هذه الصفة الإلهية فى المسيح قوله لبطرس.. "أذهب إلى البحر والق سنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد أستاراً (عملة نقود) فخذه وأعطهم (ادفع الجزية لطالبيها) عنى وعنك (متى١٧: ٢٧)، وتم ذلك بالفعل.

لقد عرف اسم زكا الذى لم يراه من قبل بل يقول الكتاب "وإذا رجل اسمه زكا وهو رئيس للعشارين وكان غنياً. وطلب أن يرى يسوع من هو. عرف يسوع أشواق قلبه لما رآه فقال يا زكا أسرع وأنزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك" (لوقا١٩: ٢-٥).

كما رأى عن بعد بضعة أميال إنساناً يحمل جرة ماء يمكن أن يقود تلاميذه إلى مكان يصنعون فيه الفصح فقد جاء فى (مرقس١٤: ١٢-١٦) إن التلاميذ قالوا للمسيح "أين تريد أن نمضى ونعد لنأكل الفصح. فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء اتبعاه .. فهو يريكما عليه كبيرة مفروشة معدة .. هناك أعدا لنا، فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما".

لذلك قال له تلاميذه : "الآن نعلم أنك عالم بكل شئ. ولست تحتاج أن يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من الله خرجت" (يوحنا١٦: ٣٠). كما قال بطرس بعد ذلك: "يارب أنت تعلم كل شئ" (يوحنا ٢١: ١٧).

٦- الحضور فى كل مكان

إن الحضور فى كل مكان معناه عدم المحدودية. فمن الذى لا يتحيز بمكان أو زمان سوى الله وحده، ومن الذى يملأ السماوات والأرض فى وقت واحد غير الله. لقد عرف داود هذه الحقيقة فقال فى (مزمور١٣٩: ٧-١٠) "أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. ان صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك".

هذا كله صرح به ربنا يسوع عن نفسه. فقد قال لنيقوديموس رئيس اليهود "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء" (يوحنا٣: ١٣)، فبينما هو فى الأرض فى الجسد يقول أنه فى السماء أيضاً، فهو فى السماء وفى الأرض فى وقت واحد. ويقول لتلاميذه "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم" (متى١٨: ٢٠). فحينما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه يكون له المجد فى وسطهم فقد تجتمع الاف الجماعات باسمه للعبادة فى ممالك متباعدة فى وقت واحد، ويكون الرب تبارك اسمه فى وسط كل جماعة على حدة. وكيف تيسر له هذا إن لم يكن هو الله الذى يمكن أن يوجد فى كل مكان فى وقت واحد. ويكتب عنه بولس الرسول بالروح القدس أنه "يملأ الكل فى الكل" (أفسس ١: ٢٣). لقد كان فى قانا الجليل ولكنه فى نفس الوقت شفى بسلطانه الفائق ابن خادم الملك الذى كان فى كفر ناحوم (كما سبق وأوضحنا).

إن كل قلب مخلص لا يسعه إزاء هذه التصريحات الإلهية الجليلة والإعلانات الصريحة الواضحة إلا أن ينحنى فى خشوع ووقار وتعبد معترفاً ومقراً أن الرب يسوع ربه والهه.

٧- قداسته المطلقة

إن حياة المسيح منزهة تماماً عن الخطأ ومعصومة تماماً عن الزلل لذلك فكلمات الوحى الإلهى الصادقة مليئة بالكلمات التى تؤيد هذا الحق مبرهنة بذلك على أن المسيح هو الله. لأنه ليس أحد صالح ومنزه عن الخطيئة بل ومعصوم عن الخطأ إلا الله وحده.

لقد تسامى المسيح فوق البشر بخلو حياته من الخطأ. نعم كان المسيح قدوساً، صالحاً ، منزهاً عن الخطأ. لأنه كان الله الذى أخذ جسداً وصار فى شبه الناس.

لقد تحدى المسيح أعداءه علانية قائلاً: "من منكم يبكتنى على خطية" (يوحنا٨: ٤٦). ولم يستطع أعداؤه أن يمسكوا عليه زلة، أو يجدوا فى حياته شبه خطأ أو شر.

ليس بين الأنبياء من خلت حياته من الخطأ والزلل، وليس بين القديسين من لم تزل قدمه ذات يوم فقيل بأشعياء النبى "كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا" (أشعياء٥٣: ٦).

أما المسيح فهو يقف فريداً فى طهارة حياته ولذا فقد شهد عنه بيلاطس الوالى الرومانى قائلاً "لست أجد فيه علة واحدة" (يوحنا١٨: ٣٨). كما قال عنه قائد المئة الذى كان مع الحراس عند صلبه "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" (لوقا٢٣: ٤٧).

وقد شهد الرسل بالروح القدس، الذى قادهم فى كتابة الوحى المقدس فقال يوحنا الرسول "وتعلمون أن ذاك (المسيح) أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية" (يوحنا الأولى٣: ٥).

ويصفه بطرس الرسول أيضاً قائلاً: "فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر" (بطرس٢: ٢١، ٢٢).
ويصفه بولس الرسول قائلاً: "الذى لم يعرف خطية" (٢كورنثوس ٥: ٢١)، أيضاً قيل عنه فى الرسالة إلى العبرانيين أنه "قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات" (عبرانيين ٧: ٢٦).
فالمسيح ليس فيه خطية، ولم يفعل خطية، ولم يعرف خطية. إن حياته الخالية من الخطأ والمعصومة من الزلل تشهد أيضاً أنه "ابن الله" أو "الله الظاهر فى الجسد".

٨-الإيمان به والسجود والعبادة له

(أ) الإيمان به:

أما كون شخص المسيح هو هدف الإيمان فواضح من قوله للتلاميذ "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى (إيمانكم بالله)" (يوحنا ١٤: ١)، أى أن المسيح له المجد أوضح لهم أنه هو نفسه هدف وموضوع الإيمان مثل الله تماماً. أيضا قوله: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به (أى بالمسيح)، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦). أيضاً "الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يوحنا٣: ٣٦) "بذلك يتضح لنا أن المسيح لم يأت ليهدينا الطريق إلى الله، لكنه هو نفسه الطريق كما قال "أنا هو الطريق" (يوحنا ١٤: ٦).

هذا مع العلم بأن اليهود كان لديهم عشرات الأنبياء، لكن لم نسمع مطلقاً أنهم كانوا يعلقون إيمانهم على واحد من هؤلاء. بل كانوا يعلقون إيمانهم على الله وحده. لأن الإيمان يتضمن فى معناه الاعتماد والاتكال. ولا يوجد اعتماد أو إتكال إلا على الله.

لذلك كان الرسل يدعون الكثيرين للإيمان بالمسيح فقيل لسجان فيلبى "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال١٦: ٣١). أيضاً قيل : "إن اعترفت بفمك وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت "(رومية ١٠: ٩) كما قيل لأهل غلاطية "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا بيسوع المسيح" ، "لأنكم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع" (غلاطية ٢: ١٦، ٣: ٢٦).

ب-السجود له

على الرغم من أن المسيح له المجد قال : "إذهب عنى يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى٤: ١٠). نجده يقبل السجود من البشر ليس سجود الاحترام فقط بل سجود التعبد. مثال ذلك سجود الذين فى السفينة له بعد تسكين الريح (متى١٤: ٣٣). سجود المرأة الكنعانية التى طلبت شفاء ابنتها (متى١٥: ٢٥) سجود التلاميذ له عند صعوده إلى السماء (لوقا ٢٤: ٥٢).

كما نجد أن المسيح يطالب فى مناسبات أخرى بالسجود له. فعندما طهّر العشرة الرجال البرص رجع واحد منهم يمجد الله بصوت عظيم وخرّ (سجد) على وجهه عند رجلى الرب شاكراً. فأجاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة. ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس (لوقا١٧: ١٢-١٨).

عندما أعاد المسيح البصر للمولود أعمى وطرده اليهود من مجمعهم بسبب اعترافه بقوة المسيح، فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له : أتؤمن بابن الله . أجاب ذلك وقال: من هو يا سيد لأؤمن به. فقال يسوع: قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو فقال: أؤمن يا سيد وسجد له (يوحنا٩: ٣٥-٣٨).

أيضاً مكتوب "وفيما هو يكلمهم .. إذ رئيس قد جاء فسجد له قائلاً أن ابنتى الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا. فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه " (متى ٩: ١٨، ١٩)

وقبل المسيح السجود منه وهو القائل بنفسه "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى٤: ١٠) لذلك هو الله.

ج - العبادة أو الصلاة باسمه.

فى أيام وجود المسيح بالجسد على الأرض قال لتلاميذه "مهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله" (يوحنا ١٤: ١٣و١٤). ايضاً: "الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً" (يوحنا ١٦: ٢٣، ٢٤).

لا يوجد انسان ما على وجه الأرض كائن من كان يجرؤ أو يتجاسر أن يطلب من الناس أن تصلى إليه وتطلب منه وهو يعطى مهما طلبوا، لم يعمل هذا أى نبى من الأنبياء أو أى رسول من الرسل – لأنه لا يقوم بهذا العمل إلا الله وحده ولنا فيما سلف دليل قاطع على أن طلب المسيح الصلاة اليه والسجود له يرجع إلى أنه هو الله

بعد صعود المسيح إلى السماء وجلوسه عن يمين العظمة فى الأعالى ليشفع فى المؤمنين، نرى المؤمنين يوجهون الصلاة إليه كما يوجهونها للآب تماماً. هذا واضح فى صلاة استفانوس أثناء رجمه إذ يقول : "أيها الرب يسوع أقبل روحى. ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية" (أعمال ٧: ٥٩و٦٠).

كما صلى إليه بولس الرسول لأجل مرض اعتراه فقال: "من جهتها تضرعت إلى الرب (يسوع المسيح) ثلاث مرات أن يفارقنى فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل. فبكل سرور افتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل على قوة المسيح" (٢كورنثوس ١٢: ٨و٩).

إن كان المؤمنون الآن لحبهم فى المسيح يقدمون له السجادة والعبادة معربين ومعترفين من كل قلوبهم أنه ربهم وسيدهم المحبوب لكن فى المستقبل القريب جداً لابد أن "تجثوا باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب " (فيلبى ٢: ١٠و١١)

هل أنت مؤمن بالمسيح أنه هو الله الذى ظهر فى الجسد ليفديك بالدم؟ وهل تسجد له عن حب وعرفان بالجميل؟. أم أنك من الذين ينكرونه سواء علناً أو فى قلبك؟ .. قريباً جداً سيأتى اليوم الذى يتمتع فيه المؤمنون الحقيقيين بلقاء المسيح على السحاب حيث يكونون معه كل حين، والذى يسجد فيه الأشرار للمسيح مدفوعين بالخوف والرعدة من انتظار حكم الدينونة الرهيب ...؟ ! فمكتوب الذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا٣: ٣٦) .

أعمال المسيح الإلـهية

كما أن للمسيح صفات وامتيازات لا يمكن أن تتوافر لكائن أخر سوى الله وحده. كذلك فإن للمسيح أعمالاً لا يمكن أن يقوم بها إلا الله وحده مثل:

(أ)المسيح هو الخالق

يعلن الكتاب المقدس أن المسيح هو الخالق بسلطانه الذاتى المطلق كالله بقوله: "كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يوحنا ١: ٣) فهو الخالق لكل الموجودات والمبدع لجميع الكائنات فإن فيه "بسلطانه الذاتى" خلق الكل ما فى السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواءكان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق الذى هو قبل كل شئ. وفيه (بمقتضاه) يقوم الكل" (كولوسى١: ١٦، ١٧).

هذه العبارة تعلن عن علاقة المسيح بالخليقة. فهو مصدر الخليقة وليس منها "الكل به وله قد خلق". وهو أصل كل الوجود. كل الخليقة صادرة منه، وبما أنه أصل ومصدر الخليقة فهى بالتبعية تتجه إليه لتجد فيه حفظها وصيانتها – "فيه يقوم الكل" فهو – له المجد- الذى يطبع على الخليقة هذا التماسك الفائق. إن "أقنوم الكلمة" القدير الذى أوجد هذا الوجود هو الذى يحفظه بكلمة قدرته "لأنه مكتوب عنه أنه "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عبرانيين ١: ٣). ولولا ذلك لتناثرت أجزاؤه . ومن يمكن أن يكون هذا غير الله.

أننا بكل تقدير وتكريم نردد من أعماق قلوبنا قول الكتاب "يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه.. لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين" (رومية ١١: ٣٣، ٣٦).

(ب)المسيح غافر الخطايا

كلنا يعلم أن الله وحده هو الذى يغفر الخطايا. فقيل "من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده" (مرقس٢: ٧). لقد مارس الرب يسوع هذا السلطان، باعتباره الله، فقال للمفلوج: "مغفورة لك خطاياك" (مرقس٢: ٥)، وقال للمرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى "مغفورة لك خطاياك" (لوقا٧: ٤٨). كما يشهد الروح القدس على فم الرسول بولس "كما غفر لكم المسيح" (كولوسى ٣: ١٣)، أيضاً: "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به – أى بالمسيح – ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣)، وأيضاً: "الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (كولوسى ١: ١٤).

(ج)المسيح يقيم الموتى روحياً وجسدياً

١-المسيح يقيم الموتى جسدياً:

إن المسيح بوصفه الله أقام الموتى بسلطانه الذاتى وليس كالأنبياء فى العهد القديم، أو الرسل فى العهد الجديد. فإن هؤلاء وأولئك أقاموا الموتى بإذن الله وأيضاً نتيجة استجابة الله لطلباتهم بقصد أن يتمجد الله وحده. أما المسيح فبكلمة قدرته قال لابنة يايرس "يا صبية لك أقول قومى. وللوقت قامت الصبية ومشت" (مرقس٥: ٤١، ٤٢). كما قال لابن أرملة نايين : "أيها

الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم" (لوقا ٧: ١٤، ١٥). أيضاً قال للعازر" لعازر هلم خارجاً فخرج الميت من قبره" (يوحنا ١١: ٤٣، ٤٤).

كما يؤكد الرب يسوع المسيح سلطانه على أحياء الناس فى قوله: "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى. كذلك الابن ايضاً يحيى من يشاء" (يوحنا٥: ٢١). إن الرب يسوع له السلطان المطلق كالله أن يحيى من يشاء بحسب مشيئته الشخصية مبرهنا بذلك أنه الله صاحب السلطان المطلق والمشيئة الذاتية المطلقة.

إن أعظم قدرة لإقامة الموتى ظهرت فى قول المسيح "وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام اقيمه.. وأما هو (المسيح) فكان يقول عن هيكل جسده" (يوحنا٢: ١٩، ٢١).

هنا نجد أن المسيح لا ينسب لنفسه القدرة على إقامة الغير فقط بل يقول أنه يقيم ذاته. ولم نسمع أن أحداً من الأنبياء الذين أقاموا الموتى بإذن الله استطاع واحد منهم أن يقيم نفسه. من الموت كما فعل المسيح.

فضلاً عما تقدم فقد أعطى المسيح لتلاميذه الاثنى عشر سلطاناً على لإقامة الموتى، لكننا لم نسمع من قبل عن نبى من الأنبياء استطاع أن يعطى سلطانه المعطى له من الله لإنسان آخر.. "دعا يسوع تلاميذه الاثنى عشر وقال لهم "اشفوا مرضى – طهروا برصا – أقيموا موتى – أخرجوا شياطين – مجانا أخذتم مجانا أعطوا" (متى١٠: ٨). "وبناء عليه أقام بطرس طابيثا، و بولس أيضاً أقام شابا سقط من الطابق العلوى" (أعمال٩: ٤٠، ٢٠: ٩-١١).

٣-إحياء الموتى روحياً:

ذكرنا أعلاه بعض المعجزات العظيمة التى قام بها المسيح فترة وجوده بالجسد على الأرض. هذه المعجزات ما كانت إلا دليلاً على الجانب الإلهى فيه – هذا الجانب الذى حسب مشيئته حجبه بالجسد فترة وجوده على الأرض – لكى يؤمن الناس به بسبب الأعمال التى عملها (يوحنا١٠: ٣٨، ١٤: ١١)، لم يتوقف عمله عند حد إحياء الموتى بالجسد، لكنه بعث الحياة الروحية أيضاً للنفوس الميتة بالخطية والآثام فقد غير حياة الكثيرين والكثيرات مثل متى العشار (متى٩) ، زكا العشار (لوقا١٩)، مريم المجدلية (لوقا٧)، أيضاً المرأة السامرية (يوحنا ٤).

لذلك يقول الرب يسوع المسيح: "الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات (بالذنوب والخطايا) صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يوحنا٥: ٢٥).

هذا وقد أعلن المسيح فى أواخر خدمته على الأرض حقيقة مجيدة تجعل كل مؤمن به ، يتشدد ويتقوى ويستريح فى الاتكال عليه، لأنه قال: "دفع إلىَ كل سلطان ما فى السماء وما على الأرض" (متى٢٨: ١٨).

(د)الدينونة

مكتوب : "وتخبر السماوات بعدله لأن الله هو الديان" (مزمور٥٠: ٦)، ونحن نتصفح الكتاب المقدس نجد أن عمل الدينونة هو للمسيح، ونصل إلى نتيجة حتمية هى أن المسيح هو الله لأنه هو الديان.

قال المسيح لليهود: "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن"، أيضاً : "وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الانسان" (يوحنا٥: ٢٢، ٢٧).

أيضاً: "المعين من الله ديانا للأحياء والأموات.. له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال١٠: ٤٢، ٤٣). أيضاً: "فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه (أى المسيح كابن الإنسان" (أعمال١٧: ٣٠و٣١).

وكتب الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس قائلاً: "أنا أناشدك إذا أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات" (تيموثاوس الثانية ٤: ١).

ونستخلص من ذلك أن الذى سيدين العالم هو المسيح ابن الله الحى.

الباب الثالث
من أسماء وألقاب المسيح

لعلك يا أخى تكون قد أدركت مما سبق أن ابن الله فى تجسده لم يتنازل عن شئ من لاهوته إذ فيه كان اللاهوت والناسوت متحدين دون اختلاط أو امتزاج أو تغيير، ولعلك أيضاً تكون قد أدركت حاجة الإنسان لقبول الابن، لأن بدونه تهلك كل نفس هلاكاً أبدياً. كما أنه بكل تأكيد ليس لأى نفس اقتراب من الله إلا عن طريق الابن. قال الرب يسوع نفسه فى (يوحنا١٤: ٦) " أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى".

رأينا بعد ذلك أن نقدم لك بعض أسماء وألقاب المسيح التى لها ذكر شائع فى الكتاب المقدس وسنبدأ بشرح مدلول "الكلمة".

١-الكلمة

"فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يوحنا١: ١). بهذا الاستهلال الرائع الذى بلغ الذروة بين اعلانات العهد الجديد عن لاهوت ربنا المبارك، يبدأ يوحنا بشارته عن المسيح الذى يقول الوحى عنه أيضاً أن : "... اسمه كلمة الله" (رؤيا ١٩: ١٣).

"الكلمة" اسم من الأسماء التى تفرد بها المسيح، فموسى لم يدع كلمة الله بل كليم الله، وداود لم يدع كلمة الله بل نبى الله، وإبراهيم لم يدع كلمة الله بل خليل الله. وكما سبق ذكرنا فإن "الكلمة" ليس لقباً من ألقاب المسيح، بل اسمه الشخصى. فلو أن شخصاً ما لقب بالكلمة (لغزاره علمه وفصاحة بيانه مثلاً)، يبقى المسيح وحده هو "الكلمة" أو "كلمة الله" ، لأنه هو المعبر عن "ذات الله".

وقد أشار له المجد إلى هذه الحقيقة فقال عن نفسه : "الذى رأنى، فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩). كما أشار إليها بولس الرسول فقال : "لأن الذى قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذى أشرق فى قلوبنا ،لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح" (٢كورنثوس ٤: ٦).

المعنى اللغوى للكلمة

إن الكلمة لسان حال صاحبها وهى فى نظر رجال الفلسفة ، المعنى الموجود فى العقل، والمعبر عنه أو المتجسد إما فى صوت أو كتابة أو رسم. فهى تحتوى على ما فى عقل المتكلم من معنى بالشكل الذى يفهمه المتكلم إليه. أما فى نظر غيرهم فهى اللفظ أو العبارة أو المقالة. إن "الكلمة" بهذه المعانى تكون مؤنثة فترد افعالها وصفاتها وضمائرها مؤنثة أيضاً، مع أن "الكلمة" الذى هو اسم من أسماء المسيح لا يقصد به معنى من المعانى السابقة، بل يراد به الأقنوم "المعلن لله" أو "الله معلناً" الذى خلق العوالم بأسرها، لذلك لا يأتى الفعل المستعمل مع "الكلمة" هنا مؤنثاً بل مذكراً.

هذا الاصطلاح يعرف عند فلاسفة اليونان بأنه العقل الإلهى المنفذ لمشيئة الله أو بالحرى هو المعبر عن الله وكل مقاصده تعبيراً كاملاً. والكلمة فى اللغة العربية كما هو متعارف بيننا هى التى تعلن صاحبها، أو تعبر عنه.

إذا رجعنا إلى اللغة اليونانية التى هى اللغة الأصلية للعهد الجديد نرى أن اللفظ المترجم إلى العربية بـ "الكلمة" للدلالة على "أقنوم الكلمة" هو "لوغوس". بخلاف اللفظ اليونانى "لكسيز" المترجم إلى العربية بـ "الكلمة" للدلالة على القول العادى.

إما إذا رجعنا إلى اللغة العبرية نرى بها لفظين مختلفين ترجما إلى العربية بـ "الكلمة" وهما : "امرا" و"دبارا" واللفظ الأول مؤنث ويراد به الكلام العادى. أما الثانى فمذكر ويسند غالباً إلى "الله" ويراد به قضاؤه وتدبيره.

أما فى اللغة العربية فإن الحروف الأساسة للفظة "الكلمة" وهى الكاف واللام والميم، تفيد القوة والشدة بحسب تصريفاتها الممكنة. لذلك فرقوا بين "الكلمة" وبين "اللفظ" كما فعل اليونان والعبرانيون – ولا غرابة فى ذلك – فكلمة الرجل العظيم مثلاً هى ما يعبر عن نفسه. من ثم فإنها تحمل معها شخصيته بما فيها من مكانة ونفوذ فهى إذن ليست مجرد حروف متصله بعضها ببعض بل إنها مرآه تظهر هذا العظيم نفسه.

أزلية الكلمة

"فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله. كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان " (يوحنا ١: ١-٣).

يتضح لنا أن كلمة "البدء" الخاصة بوجود "الكلمة" ترجع إلى الأزل السحيق حتى على بدء الخلق. وهذا واضح من قول الوحى "كل شئ به (أى الكلمة) كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان".

ويتضح لنا أيضاً من الآيات السابقة أن أقنوم "الكلمة" لم يخلق فى البدء . بل أنه "كان فى البدء" بمعنى أنه كان موجوداً منذ الأزل الذى لا بدء له. وعبارة "والكلمة كان عند الله" تدل بوضوح على أن "الكلمة" كان ملازماً لله . وبما أن الله أزلى فبطبيعة الحال يكون "الكلمة" ملازماً له أزلاً أيضاً.

أما بالنسبة إلى كلمة "عند" التى أوردناها ، لا يقصد بها الإشارة إلى مكان، بل إلى الصلة التى بين الله وبين كلمته هذا يتمشى مع الأمر المسلم به أن الله لم يكن صامتاً أو عاطلاً فى الأزل بل كان له نشاط فكرى ذاتى. هذا النشاط الفكرى الذاتى هو ما عبر عنه الوحى فى كثير من الآيات التى تبدأ بعبارة "قال الله" ولولا وجود "أقنوم الكلمة" أو "الأقنوم المعبر" لما كان هناك مجال للتعبير عن هذا النشاط، ولا كان أيضاً هناك مجال لإظهاره .

"الكلمة" و"أثر الكلمة"

يرى البعض أن كل شئ خلق بكلمة الله، يمكن أن ندعوه كلمة الله، ويبنون على هذا الاعتقاد أن المسيح دعى "كلمة الله" لأنه حسب رأيهم خلق بكلمة الله. ولكن هذا الرأى لا نصيب له من الصواب لأن هناك فرقاً كبيراً بين "كلمة الله" و"أثر الكلمة". فالمخلوقات ليست كلمة الله، بل هى أثر من آثار كلمة الله، لأنها (أى المخلوقات) خلقت بكلمة الله. لذلك لا نستطيع أن نقول أن كلا من الإنسان والحيوان والجماد هو "كلمة الله" . كما لا نستطيع أن نقول أن الخليقة هى كلمة الله ، بل نقول أنها خلقت بكلمة الله (مزمور ٣٣: ٦) ، أو بتعبير آخر هى اثر من آثار كلمته.

حاجتنا الماسة إلى "الكلمة"

إن أبلغ العبارات لا تستطيع أن تنقل لنا عمق المعانى الخاصة بذات الله. لذلك لا يمكننا أن ندرك ونستوعب هذه المعانى الا اختبارياً. فلو أن الله كان قد اقتصر فى إعلانه عن ذاته على الكلام الذى كان يوحى به إلينا بواسطة انبيائه. لما كان لنا أن نعرف إلا قدراً من صفاته، دون أن تكون لنا الجرأة على تكوين علاقة شخصية قوية معه. فتصورنا الذاتى لا يمكننا من إدراك حقيقة الله فى قداسته المطلقة، أو محبته المطلقة – مثلاً – وتكون النتيجة الحتمية لذلك بكل وضوح فى

أقنوم الكلمة المتجسد. هذا التنازل لا يقلل من جلال الله بل يزيده جلالاً فى أعيننا، لأنه إن دل على شئ فهو يدل على محبته الخالصة لنا، واهتمامه الشديد بنا، ورغبته الأكيدة فى أن تكون لنا علاقة مباشرة مع شخصه الكريم المبارك.

بناء على ذلك نقول لو كان الله قد اكتفى فى تعبيره لنا عن أنه يحبنا محبة مطلقة عن طريق الوحى بالأنبياء فقط، لما أمكن لأى إنسان منا أن يدرك المعنى الذى يتضمنه هذا الوحى، لذا عندما ظهر "الكلمة" بيننا بالتجسد" والكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يوحنا ١: ١٤) ، استطعنا أن ندرك هذه المحبة المطلقة. فقد رأيناه يقابل شر الإنسان بكل ما فيه من عدوان وتمرد وإساءة وخطايا، بالعطف والشفقة والإحسان والصفح والغفران، والأعجب من كل هذا أنه على الرغم من جحودنا وعدم تقديرنا لتصرفه هذا لم يكل من خدمتنا والاهتمام بأمورنا ومواساتنا فى ظروفنا – إذ كان يشفى مرضانا ويقيم موتانا، ويشبع الجياع منا ويبكى مع الباكين ويفرح مع الفرحين. وأخيراً ختم حياته على الأرض بتقديم نفسه فدية على الصليب حاملاً فى ذاته نتائج خطايانا عوضاً عنا، حتى لا يهلك كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا٣: ١٦).

من ثم وجدنا فى "الكلمة" حاجتنا. فبالكلمة وحده، استطعنا أن نعرف أن الله ليس محباً أو ودوداً فقط، بل أنه "المحبة" بعينها كما أعلن الوحى فى (١يوحنا ٤: ٨) أن "الله محبة" . واستطعنا تبعاً لذلك أن نحبه ونتوق إليه، ونجد لذتنا الكاملة فى طاعته والتوافق معه وعمل مشيئته. كما أنه لم يعد بالنسبة إلينا الإله الذى يحوطه الغموض والإبهام كما كنا نتصور من قبل، بل الإله المعروف لقلوبنا والمدرك لنفوسنا، ومن ثم استطعنا بنعمته أن نقترب إليه ونتمتع به ونتوالف معه فنجد فيه راحة وسلاماً لنفوسنا.

٢-صورة الله

الله ليست له صورة فى ذاته لأنه لا جسم له، لكنه يعلن ذاته فى "أقنوم الابن" أو "الكلمة" لذلك يسمى المسيح صورة الله. فقد جاء فى الكتاب المقدس عنه أن المسيح هو "صورة الله غير المنظور" (كولوسى١: ١٥). وهذا يتوافق مع كونه "ابن الله" أو "كلمة الله" بمعنى "المعلن لله" ونحن نعرف أن الصورة تعلن حقيقة كائن سواء أكانت حقيقته ظاهرة لنا أم غير ظاهرة. وقد وضح الكتاب المقدس لنا معنى كون "الابن" صورة الله فقال عنه أنه "بهاء مجد الله ورسم جوهره" (عبرانيين١: ٣) ، أى أن المسيح هو الضوء المرئى الذى يظهر مجد الله غير المرئى، والرسم أى الشكل المدرك الذى يعلن جوهر الله غير المدرك.

ولا يمكن لأحد أن يقول أن الله له صورة بالمعنى المعروف لدينا، لأنه تعالى روح لا حدود له، لكن من المؤكد أن تكون له صورة خاصة. هذه الصورة يلزم أن تكون متوافقة مع روحانيته المطلقة. وكل من له وجود خاص ، له بالتأكيد صورة تعلن ذاته بأى حال من الأحوال. وبالتأكيد ليس هناك فاصل بين ذات الله وبين صورته، لأن صورته هى عين ذاته معلنة أو مرئية أو مظهرة.

ليس هذا كلاماً غريباً فكثيراً ما نستعمل اصطلاح "صورة الشئ" بمعنى "ذات الشئ". كما أن الكتاب المقدس استعمل هذا الاصطلاح فقال: "تمسك بصورة (بذات) التعليم الصحيح" (٢تيموثاوس١: ١٣). أيضاً : "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة ذات الأشياء" (عبرانيين ١٠: ١) لذلك ليس هناك مجال للاعتراض (حتى من الناحية اللغوية) على كون المراد بـ "صورة الله" أنه "ذات الله" أو "الله معلناً".

لعل ما سبق من كلام يؤكد أن تسمية هذا الأقنوم سواء بـ (صورة الله) أو "ابن الله" أو "كلمة الله" إنما يرجع إلى قيامة بإعلان ذات الله (أو إعلان اللاهوت) من الأزل وإلى الأبد، الأمر الذى اتضح بجلاء عند الكلآم عن أعمال المسيح وصفاته الإلهية..

هذا الكلام يبرز الفرق الشاسع الذى لا حد له بين تسمية آدم من جهة خلقه أنه خلق على صورة الله، وبين أقنوم "الابن" من جهة كونه نفس أو ذات "صورة الله" فآدم خلق فى زمن محدود، بروح محدودة على صورة الله أى بإمكانيات أدبية يمكنه بها التوافق مع الله لكى يكون ممثل الله على ألأرض. أما "الابن" فهو ذات صورة الله فى جوهره اللانهائى منذ الأزل الذى لا بدء له، إلى الأبد الذى لا نهاية له. هذا واضح كل الوضوح فى كلام الوحى فهو لا يقول عن هذا الاقنوم "الابن" أنه خلق على صورة الله (كآدم مثلا) أو أنه صار صورة الله (كحدوث تغيير لشئ كان فى حالة وأصبح فى حالة أخرى). بل يقول أنه (صورة الله) أى أنه بمركزه الخاص كأقنوم الابن هو ذات "صورة الله" أو هو "المعلن لله" أو "الله معلناً" لأنه لا يعلن ذات الله إلا الله.

رؤية انبياء العهد القديم لله

فإذا كان المسيح هو المعلن لله، أو الله معلناً فى العهد الجديد، فهل معنى ذلك أن أنبياء العهد القديم قد حرموا من رؤية الله؟ من المعروف أن الله فى جوهره غير ملموس و "غير منظور" (كولوسى١: ١٥). لذلك يقول الكتاب : "الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (تيموثاوس ٦: ١٦) قابل (١تيموثاوس ١: ١٧). ومكتوب أيضاً: "الله لم يره أحد قط" (يوحنا ١: ١٨). وقال الله لموسى : "لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش" (خروج٣٣: ٢٠). ومع ذلك فقد سر الله أن يظهر لأنبيائه لا فى جوهر لاهوته، لأنه لا يرى، بل فى هيئة إنسان كما ظهر لأبينا إبراهيم، فمكتوب : "وظهر الرب عند بلوطات ممرا." (تكوين ١٨: ١) وإذا قرأت الإصحاح ١٨ من سفر التكوين سوف تجد أن الرب يكلم أبانا إبراهيم كما يكلم الرجل صاحبه، ولهذا دعى أبونا إبراهيم "خليل الله" ونفس الشئ قيل عن النبى موسى أنه يكلم الرب وجهاً لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه (خروج٣٣: ١١). كما ظهر الرب أيضاً فى هيئة ملاك لجدعون (قضاة٦) ومنوح (قضاة ١٣)، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

أما بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين فى العهد الجديد، فإنهم ليسوا فى حاجة لرؤية الله بالعيان ، لأنهم يروه بعين الإيمان، مكتوب : "وإن كنتم لا ترونه الآن ، لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد" (١بطرس ١: ٨) وأيضاً لأنهم صاروا مسكناً لله بسكنى الروح القدس فيهم، فمكتوب: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (كورنثوس٣: ١٦). ولكن سيأتى اليوم وهو قريب جداً الذى نرى فيه الرب يسوع كما هو، فمكتوب : "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يوحنا٣: ٢) ويتضح لنا من هذه الآية أننا سنرى الرب يسوع الذى أعلن لنا الله ، ولن نرى الله فى جوهر لاهوته، لأن الآية تقول: "نكون مثله" فليس من المعقول أننا سنرى مثله فى لاهوته والا صرنا آلهة، وحاشا ان يكون لله شبيه أو نظير، إذن فإننا سنرى الله المعلن الذى هو الرب يسوع المسيح.

٣-الله (يهوه)

إن لفظ الجلالة (الله) هو اسم اللاهوت الذى يتضمن طبيعته المطلقة له المجد كالكائن القائم بذاته الذى يسمو فوق إدراك المخلوق.

إن أول إعلان فى العهد الجديد يؤكد أن المسيح هو الله عندما قيل "يدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (متى ١: ٢٣).

وإن كان لهذا الإعلان قوته وكفايته لكننا نأتى بقدر من الشواهد الكتابية التى نرى فيها الكفاية لمن يريد الاقتناع:-

١- فى خطاب بولس الرسول لقسوس كنيسة أفسس: "احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه" (أعمال٢٠: ٢٨). والمفهوم أن الذى سال دمه على الصليب هو ربنا يسوع المسيح.

٢- ويكتب الرسول أيضاً إلى أهل رومية قائلاً: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركاً (وفى الأصل اليونانى الله المبارك) إلى الأبد" (رومية ٩: ٥).

٣- جاء فى الرسالة إلى العبرانيين مقتبساً ما قيل عن المسيح من (مزمور٤٥) "أما عن الابن (أى ان هذا هو قول الآب للابن) كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (عبرانيين١: ٨).

٤- ويقول الرسول يوحنا فى رسالته الأولى : "نحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الاله الحق (بألف ولام التعريف أى الله الحى الحقيقى) والحياة الأبدية" (١يوحنا ٥: ٢٠).

٤-القدوس

كلمة القدوس اسم من أسماء الله الخاصة. قد وردت فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وقد أطلق هذا الاسم على الله فى جوهر وكمال لاهوته المطلق.

ورغم أن هذا الاسم "القدوس" لا يطلق إلا على الله وحده. إلا أننا نجده قد أطلق على ربنا يسوع المسيح بنفس المعنى كالله فى جوهر طبيعته وكمال لاهوته: مما يؤكد أن المسيح هو الله. فمثلاً:

١- دعى الله فى (رؤيا٦: ١٠): "أيها السيد القدوس والحق" هكذا مكتوب عن الرب يسوع "هذا يقوله القدوس الحق" (رؤيا٣: ٧) أيضاً يشهد بطرس بالروح القدس للرب يسوع المسيح أنه "القدوس البار" (أعمال ٣: ١٤).

٢- يهتف السرافيم ليهوه (الله) "قدوس قدوس قدوس رب الجنود" (أشعياء٦: ٣) ، ويخبرنا المسيح نفسه أن ذلك الهتاف كان له (للمسيح) بقوله: "قال أشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه (أى فى المسيح)" (يوحنا ١٢: ٤١).

هذا كله يثبت أن المسيح هو بالحقيقة الله له المجد والكرامة من الآن وإلى أبد الدهور. وكما أن ربنا المبارك قدوس بلاهوته لأنه الله، وكذلك هو قدوس بناسوته كابن الإنسان كما يشهد الملاك فى بشارته للعذراء "القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا١: ٣٥). ويشهد أيضاً الروح القدس عنه فى الرسالة إلى العبرانيين أنه "قدوس بلا شر. ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عبرانيين ٧: ٢٦). كما جاء فى صلاة بطرس لله عن صلب اليهود للمسيح قوله "فتاك القدوس يسوع"
(اعمال ٤:٢٧) .

٥- يهوه أو الرب أو أنا هو

"يهوه" أحد أسماء الله فى العهد القديم. هى كلمة عبرية معناها "الكائن بذاته" وترجمت أحياناً إلى العربية بـ "الرب" أو "السيد" صوناً للفظ الجلالة من الجرى على الألسنة فى الأحاديث العادية.الاسم "يهوه" هو الاسم الذى كان يتعامل به الله مع شعب اسرائيل والعالم باعتباره اله العهد الثابت غير المتغير. هذا واضح من قول الله لموسى "هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه إله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد. وهذا ذكرى إلى دور فدور" (خروج ٣: ١٥).

وإليك جدولاً يبين بعضاً مما قاله يهوه فى العهد القديم عن نفسه بالمقابلة مع ما قاله المسيح فى العهد الجديد عن نفسه، وستجد مدى التطابق فى كل صفة من صفات الله فى العهد القديم والمسيح بحسب آيات العهد الجديد.

ما قاله يهوه فى العهد القديم	ما قاله المسيح فى العهد الجديد
١-هكذا يقول الرب (يهوه) ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود (يهوه) أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى (أشعياء ٤٤: ٦، ٤٨: ١٢)	١-يقول الرب يسوع عن نفسه: "أنا الألف والياء والبداية والنهاية الأول والآخر" (رؤيا ٢٢: ١٣).
٢-لأن الرب (يهوه) إلهكم هو إله الألهة ورب الأرباب " (تثنية ١٠: ١٧).	٢-جاء عن الرب يسوع : "أنه يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك" (رؤيا ١٧: ١٤). وأيضاً: "ويدعى اسمه كلمة الله.. وله على ثوبه وفخده اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب (رؤيا ١٩: ١٣-١٦)
٣-".. فيعرفون أن اسمى يهوه أنا الرب فاحص القلب ومختبر الكلى" (أرميا ١٦: ٢١، ١٧: ١٠).	هكذا يقول الرب يسوع "أنا هو الفاحص الكلى والقلوب" (رؤيا ٢: ٢٣).

إن الاسم (يهوه) الذى تفرد به الله وهو يدل على جوهره كالكائن بذاته، منذ الأزل وإلى الأبد. لا يمكن أن يعطيه الله لأى كائن آخر. كما أن الذى يدعى هذا الاسم لنفسه يعتبر سالباً حق الله. وهذا يؤكد لو لم يكن المسيح هو (يهوه) لما كان ممكناً أن يتخذه لنفسه اسماً.

أما الاسم "أنا هو" الذى اتخذه الرب يسوع لنفسه والذى معناه "الكائن بذاته" كما سبق وقلنا أنه الاسم الذى عرف به "يهوه" فى العهد القديم. فان كان "يهوه" يعنى "الرب" فهو أيضاً يعنى "أنا هو". هذا تؤيده آية وردت فى العهد القديم تقول "وأنتم شهودى يقول الرب "يهوه" وأنا الله. أيضاً من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدى" (أشعياء٤٣: ١٢، ١٣) وكثير من الأقوال التى قيلت لليهود يقصد بها المسيح إثبات هذه الحقيقة اى اقناعهم أنه "يهوه" ومنها ما يأتى:

١- "إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطاياكم" (يوحنا ٨: ٢٤).
٢- "قال لهم يسوع أنا هو فلما قال لهم أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض" (يوحنا ١٨: ٥، ٦).
٣- "أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو" (يوحنا ١٣: ١٩).

٦- يسوع

إن سجل الأيام منقوش عليه كثير من الأسماء التى سيستمر لمعانها ما دامت الأرض موجودة. لكن يوجد اسم أفضل بما لايقاس من هذه جميعاً. هذا الاسم نراه مكتوباً فى بساطة العظمة الحقيقية على الصفحات الأولى والأخيرة من العهد الجديد. هذا الاسم المبارك هو "يسوع" وهو اسم المسيح عندما كان على الأرض بالجسد، ومعناه "الله يخلص" وهو يقابل فى اللغة العبرية اسم يشوع وهوشع وكلها تتكون من مقطعين هما "ياه، شوع " ومعناهما على التوالى الله ، يخلص.

المخلص كان دائماً هو رجاء وانتظار الشعب اليهودى ليخلصهم من أعدائهم الذين استعبدوهم، وكان الشعب اليهودى وبالأخص الاتقياء منهم يقرأون النبوات التى تشير إلى موعد ميلاد هذا المخلص كما هو مشار إليه فى نبوة دانيال(دانيال ٩: ٢٥و٢٦)

وقبيل ولادة هذا المخلص من العذراء، رأى يوسف رجل مريم فى رؤيا الليل ملاكاً يقول له: "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذى حبل به فيها من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى١: ٢٠، ٢١)
إنه خلاص من نوع جديد ، ليس هو الخلاص من الأعداء الذين يستعبدونهم باحتلال أراضيهم (الرومان فى ذلك الوقت) ولكن هو خلاص من الأعداء الداخليين فى الطبيعة البشرية الساقطة التى عصت ربها ، ألا وهى الخطيه.

لقد سقط الإنسان الأول (آدم) بعصيانه على الله. وبما أنه رأس الخليقة البشرية فقد ورثت البشرية منه طبيعة الخطية بالعصيان على الله، لم ترث منه عقوبة خطيته التى أخطاها هو بنفسه لكنها ورثت أصل الطبيعة الذ ى فيه الاستعداد الطبيعى للعصيان (هذا ليس بغريب حسب قانون علم الوراثة) ثم يقول الكتاب أن الخطية دخلت إلى العالم بإنسان واحد وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس .. لماذا؟ هل لأن آدم فقط أخطأ؟ كلا .. لأنه يقول : "إذا أخطأ الجميع" (رومية ٥: ١٢).
ومعنى " إذ أخطأ الجميع " ليس كما هو شائع وهو أنهم أيضآ قاموا بالخطأ بل كما ذكرت لأنهم من نفس صنف آدم المرفوض شكلآ وموضوعاً الذى لا يحتاج الى تهذيب وإصلاح بل الى موت أبدى إن ظل كما هو دون التوبه والإيمان بالرب يسوع مخلصا .

لكن شكراً لله.. لقد جاء الرب يسوع كالإنسان الثانى (طبيعة المسيح الإنسانية) الرب من السماء (طبيعته الإلهية) (١كورنثوس ١٥: ٤٧)، لينقل كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً من رأس الخليقة الأولى، الرأس االساقطة آدم، إلى رأس الخليقة الجديدة الإنسان الكامل الرب يسوع المسيح. لذلك قيل بالوحى أن المسيح رأس الكنيسة وبكر الخليقة الجديدة التىبحسب الله كما هو مكتوب "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كورنثوس ٥: ١٧).

ولقد أوضحنا أن الاسم "يسوع" مرتبط بتجسد المسيح لذلك نجد فى إعلانات العهد الجديد ارتباطاً وثيقاً بين لقب المسيح واسم يسوع، حتى لا يغيب عنا لحظة واحدة أنه الله والإنسان معاً.

فهل تمتعت أيها القارئ بهذا المخلص الفريد الذى استطاع بحبه العجيب أن يحررنا من عبودية وسلطان الخطية ويعتقنا من قانون الخطية والموت الذى كان يسود علينا وذلك بتقديمه نفسه على الصليب كفارة عن خطايانا وحتى إن كنا نؤمن به نصير فى حالة نستطيع بها الاقتراب إلى الله كبنين أحباء.

٧- المسيح

إن كلمة "مسيح" تستخدم كلقب، إلا أنه بالنسبه للرب يسوع فهى اسم من أسمائه الشخصية، فقد قال أندراوس لسمعان أخيه "قد وجدنا مسياً الذى تفسيره المسيح" (يوحنا ١: ٤١) أيضاً قالت المرأة السامرية للرب "أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى" (يوحنا ٤: ٢٥). فقد ارتبط هذا الاسم بمسيا العهد القديم.

فقد كان اليهود والسامريين ينتظرون "المسيا" الذى هو المسيح".

فى نبوة السبعين اسبوع التى لدانيال نجد إشارة واضحة للمسيا الذى سيأتى (دانيال ٩: ٢٥و٢٦). والكلمة العبرية "مسيا" تعنى "ممسوح" هذا اللفظ قيل عن الرب يسوع فى (مزمور٢:٢) "قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه". وقد استخدمت نفس الكلمة للإشارة إلى رئيس الكهنة وإلى الملك كممالرب يسوع هو "الممسوح"* وذلك هو معنى كلمة "المسيح" التى تجدها فى أماكن كثيرة من العهد الجديد وقد استخدمت فى الإنجيل وفى الرسائل بصفة مستمرة.

المفروض فى الكتاب المقدس أن كل مسيح أو ممسوح يقوم بعمله يكون مكرماً من الجميع نائلاً شرف هذه المسحة.

أما المسيح يسوع فإننا نقرأ فى نبوة دانيال، أنه يقطع وليس له (أى ليس له الملك الذى يحق له)، ذلك تم عندما رفضته الأمة اليهودية ليملك عليها، وقالوا ليس لنا ملك إلا قيصر . ثم قطع بالصلب. وبذلك لم ينل شرف مسحته. لكن ينبغى لنا أن نعرف أن طاعته حتى الموت بتقديمه نفسه على الصليب تنفيذاً لمقاصد الله الأزلية من جهة خلاص البشرية قد جعلت له وحده الحق فى المجد المستقبل على الأرض.

ويجب أن نعرف أن المسيح رفض كمسياً على الأرض. لكنه الآن مقام من بين الأموات رباً ومسيحاً (أعمال ٢: ٣٦)و بذلك تمت مقاصد الله من نحوه ومن نحو الذين فيه. فالقديسون هم مختارون فى المسيح من قبل تأسيس العالم (أفسس ١: ٤).
وسيجمع الله فى المسيح كل شئ ما فى السماء وما على الأرض (أفسس ١: ١٠) وهو رأس الجسد (الذى أعضاؤه المؤمنون الحقيقيون)أى الكنيسة (أفسس ٤: ١٥).

٨-عمانوئيل

يقول الكتاب المقدس أن العذراء مريم "ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا "العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (متى ١: ٢١-٢٣، أشعياء ٧: ١٤).

عمانوئيل الذى معناه الله معنا، كلمة غريبة على الذهن البشرى الذى أصبح يعيش فى بعد عن الله بسبب خطاياه، لأن الكتاب يقول: "أثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (أشعياء ٥٩: ٢).

لقد ظل الله بعيداً عن الإنسان ولا يمكنه أن يراه أو يتصور قربه منه. وإذا حدث ذلك فإن الإنسان يخاف جداً ويرتعب من حضور الله. ذلك لأن الله قدوس وهو نور لا يدنى منه وهو نار أكلة. هذا الكلام يقودنا للحديث عن قصة موسى والعليقة، فيقول الكتاب المقدس أن موسى كان يرعى الغنم فى طرف البرية وأتى إلى حوريب إلى جبل الله – هناك رأى منظراً غريباً. لقد شاهد موسى عليقة تتقد بالنار،وعلى الرغم من اللهب الشديد داخلها لم تحترق العليقة، أخذ العجب من موسى كل مأخذ فمال ليستطلع سر هذا الأمر وإذا بصوت الله يناديه، من داخل تلك العليقة قائلاً

---

* **أى ممسوح بدهن المسحة المقدس حسب الشريعة اليهودية للتعيين الإلهى فى وظيفة رسمية كالملك والنبوة والكهنوت.**

لـه موسـى موسـى لا تقتـرب إلـى ههنـا،اخلع نعليـك لأن الموضـع الـذى أنـت واقـف عليـه أرض مقدسة(خروج٣: ١-٥).

من هذه العليقة تكلم الله مع موسى عن خلاص شعبه خلاصاً مجانياً عظيماً كاملاً، وأعلن ذاته كالمخلص القدير.
لنـا فـى مشهد النـار المشتعلة فـى العليقـة صـورة رمزيـة لأعظـم حادثـة خارقـة للطبيعـة، حدثت فى تاريخ البشرية كله وهى ظهور الله فى الجسد فمكتوب "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تيموثاوس ٣: ١٦).

إن النـــار الملتهبـــة تخبرنـــا عـــن الله فـــى طبيعتـــه الإلهيـــة "لأن الهنـــا نـــار أكلـــة" (عبرانيين ١٢: ٢٩). بمعنى طبيعة الله القداسة والحق والبر، والعليقة تخبرنا عن الجسد الذى حل فيه اللاهوت. فإذا ما نزل الله، وهو نار آكلة وديان للشر، وسط البشرية، ماذا تكون النتيجة؟ لا شك أنها نتيجة واحدة مؤكدة وهى احتراق الناس وهلاكهم.. هذا هو فكر الإنسان الطبيعى، ومن هنانشأت رغبته فى إبعاد الله عنه. وكان ما حدث فى جبل سيناء يؤيد هذا الرأى، فهناك فى ذلك الجبل المخيف، عندما تقابل موسى مع الله- أعطاه النـاموس وحينئذ غطت قمتـه سحابة وخرجت منها بروق ورعود واضطرم الجبل بالنار. وعندما تكلم الله إلـى الشعب خـافوا جداً واستعفوا من أن تزداد لهم كلمة وطلبوا من موسى أن يكون وسيطاً بينهم وبين الله.

هذا المنظر المرعب يجعلنا نتصور أن الناس لابد أن يحترقوا إذا ما نزل الله فى وسطهم. لكن هذا المفهوم خطأ، لأن الله الذى هو نـور هو أيضاً محبـة، وقد بـرهن علـى محبتـه فـى الوقت المعين، وهذا الوقت المعين تم حينما ولدت العذراء ذلك الطفل الذى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا. لقد جاء الله فى وسط الناس والناس لم يحترقوا.

لكن لأى غرض جاء الله فى وسط الناس؟ إن كان غرض الله أن يبعث برسـالة تحذير أو إنـذار أو دعـوة للنـاس، لكـان يكفـى أن يقـوم بهـذه المهمـة أحـد عبيـده الأنبيـاء، لأن الله كلـم الآبـاء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة (عبرانيين١: ١). ولو كان الله قد قصد أن يوقع دينونته العادلـة علـى الأشرار بسبب خطاياهم لما احتاج الأمر إلا إلى ملاك أو اثنين لتأديـة هذه المهمـة كمـا حـدث عند انقلاب مدن الدائرة الشريرة (سدوم وعمورة). لكن لا الناس ولا الملائكة كانوا يصلحون للغرض الذى كان مزمعاً أن يتممه الله. إنمـا عمانوئيل وحده هو الـذى أتـى لإعلان وتنفيذ مقاصـد المحبـة الإلهية غير المحدودة ألا وهى خلاص الإنسان. كان لابد أن ينـزل الله ليفعل ذلك. لـذلك كـان اسم عمانوئيل هو يسوع أى الذى يخلص شعبه من خطاياهم (كما سبق الإشارة إلى ذلك).

هذا منظر عظيم يليق بنا أن نميل للنظر إليه – منظر أعظم بما لا يقاس من المنظـر الـذى رآه موسى بمقدار ما للحقيقة من قيمة أعظم من الرمز ومن الظل. وفى حضرة الله الذى قـرب منـا وعرفناه فى المسيح يمكن أن نبقى بغير خوف لأن "الله محبة" (١يوحنا ٤: ٨).

كلمة أخيرة

عزيزى القارىْ :

ألا يدعوك هذا العرض البسيط لكى تقدم سجوداً لهذا الإله المحب الذى يريد أن يريحك إن آمنت بموته على الصليب الذى صار وحده فقط كفارة عن الخطايا وخلاصاً من الدينونه، إن كل من أدرك حقيقة أن نفسه هالكة لا محالة ، و أهمل هذا الشخص المحب جدا ، ولم يخافه فيسرع بالتوبه والإيمان، لا يضر إلا نفسه.

الرب يدعوك فتعال إليه مسرعاً..... إنه يحبك ويرحب بك.....

تعال قبل فوات الأوان

الرب آت مسرعاً.... إنه قريب على الأبواب

النعمـــــــــــة معـــــــــــك